

سَيَاسَتُنَا الْخَارِجِيَّةُ

لعل وضع الأمة العربية^(١) في مرحلة التحرر التي تجتازها وضع فريد في التاريخ السياسي، وما ذلك الا نتيجة لوقوع الأمة بين عدوين في الداخل والخارج. لاتدري ايهما تناضل وبأي منهما تبدأ.

ففي الوقت الذي تتآمر فيه قوى الاستعمار والصهيونية على مستقبل العرب في فلسطين والبلاد العربية جمعاء. نرى الحكومات العربية تتسابق الى عقد المعاهدات السياسية وتثبيت الاتفاقيات الاقتصادية مع هذه الدول نفسها التي تعتدي على حقوق العرب وسيادتهم والتي كانت المسبب الحقيقي والعامل الرئيسي في محنتهم الحاضرة في فلسطين، مع ان ابسط قواعد السياسة وأقل واجبات الاخلاص للمصلحة القومية كانت تقضي بأن تتجه سياسة الحكومات العربية. في هذا الوقت اكثر من أي وقت آخر. الى الابتعاد عن نفوذ الدول المستعمرة لبلادها. في العالم كتلتان كبيرتان تقسمان السيطرة والنفوذ فيه. والامر الراهن ان كل الدول التي تقف عثرة في طريق تحرر العرب ونهضتهم سواء بسيطرتها السياسية واستثمارها الاقتصادي كما هو الحال مع بريطانيا واميركا بالشرق العربي اوباحتلالها الثقيل واستعمارها الغاشم كما هو الحال مع فرنسا في المغرب العربي. كل هذه دون استثناء متجمعة في احدى الكتلتين العالميتين. ومن البديهي ان توثيق الروابط مع

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٢١ كانون الثاني ١٩٤٨.

هذه الدول وتسخير البلاد العربية بمواقفها الحربية و ثروتها الاقتصادية الهائلة ، ومجرد السكوت والتغاضي عن استعمار البعض الآخر، كل هذا لن يكون من شأنه ان يدعم مركز هذه الكتلة ويرجح وزنها في الصراع العالمي فحسب، بل يؤدي كنتيجة لهذا الدعم والترجيح ، الى تمكينها من بلاد العرب اكثر من ذي قبل واستئثارها بمقدراتهم والقضاء على ما يناضلون من اجل تحقيقه من حرية ووحدة وتقدم .

لو ان العرب كانوا اليوم في وضع خال من شوائب الاستعمار والاحتلال والتجزئة وارادوا ان يقفوا من الصراع العالمي موقفاً حراً هو اقرب ما يكون الى مثلهم ومصالحتهم القومية . فلربما كان هذا الموقف اميل الى جانب الامم الديمقراطية منه الى جانب الدول الدكتاتورية، بالرغم من النواقص الفاضحة التي يتبينونها في ديمقراطية الغرب وبالرغم من إمكانيات التحرر والتقدم التي يرونها كامنة في ديمقراطية المعسكر الاوربي الشرقي ذلك لأنهم يعرفون حق المعرفة ان الحرية هي جوهر حياتهم وانها كانت الاساس المتين لنهضتهم الماضية وستظل كذلك في المستقبل . ولكن الوضع الراهن الذي يعيش فيه العرب والذي يتصف بفقدان السيادة والوحدة، وبضياع ثرواتهم القومية وحياتهم السياسية بين المستعمرين الاجانب والاقطاعيين من اهل البلاد يحرم عليهم وقوف ذلك الموقف المثالي، ويضطرهم اضطراراً الى التنكر لهذه الديمقراطية الغربية التي لاتعني بالنسبة اليهم غير الاستعمار الاجنبي ، وتشجيع الطبقة الرجعية المستغلة في داخل بلادهم .

ان في السياسة التقليدية التي تتمشى عليها بريطانيا واميركا وفرنسا في علاقاتها مع العرب . كما في سياسة الاتحاد السوفياتي نفسه الذي اقدم مؤخراً على طعن العرب في قرار التقسيم ، لجهلاً بيناً وخطأً فادحاً، فكلا الطرفين الغربي والسوفياتي لايمتد نظرهما الى ابعاد من حدود الحكومات العربية، ويتجاهلان انها شيء عارض بالنسبة الى تلك الحقيقة الثابتة الراسخة التي هي الشعب العربي . فلو حسب السوفييت، وهم حملة لواء الاتجاه الشعبي حساباً لهذا الشعب، لما كانوا اقدموا في اقرار التقسيم على عمل لم يمله عليهم غير استيائهم من سياسة الحكومات العربية الخاضعة لنفوذ اعدائهم، ولو تبصرت الكتلة الانكلوساكسونية في الامر جيداً لعرفت

ان الصداقة التي يجدر بها ان تشدها في الوطن العربي لا يمكن ان تقوم اسسها الا على اشلاء جيوش الاحتلال والاستعمار وتمزيق الاتفاقيات الاقتصادية الظالمة، والا على انقراض هذا الحكم الرجعي الاقطاعي القائم في البلاد العربية والذي تؤيده حراب هذه الدول ودسائسها.

ذلك ما يجدر بساسة الغرب ان يذكروه. اما ما يجب ان يذكره السياسيون العرب

فهو:

- ١ - ان البلاد العربية وحدة لا تتجزأ وان مصلحتها هي كذلك.
- ٢ - ان اعداء البلاد العربية في الوقت الحاضرهم ايضاً يشكلون وحدة لا تتجزأ، فبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا تتقاسم العالم العربي استعماراً واحتلالاً واستثماراً اقتصادياً، وهي في الوقت ذاته تجتمع في كتلة عالمية واحدة: الكتلة الغربية.

اذن فكل ما يتستر باسم محالفة او اتفاق او صداقة مع هذه الدول بعضها او كلها، هو دعم للاستعمار المفروض على بلاد العرب. وفي الوقت نفسه، فكل اضعاف لهذه الدول، كلها او بعضها، يخفف من وطأة الاستعمار المفروض على البلاد العربية ان لم يقض عليه.

فمصلحة البلاد العربية لا يمكن ان تكون بشكل من الاشكال في جانب الكتلة الغربية او في جانب اي عضو من اعضائها، وبالتالي فسياسة الحكومات العربية يجب ان تكون سياسة حياد في النزاع القائم بين الكتلتين العالميتين. لا ان ترتبط مع اعداء العرب بمعاهدات جديدة في الوقت الذي يجب ان تتخلص فيه من كل رابطة تربطها بهم.

ولئن اتخذ النزاع القائم بين الكتلتين شكل نزاع بين الديمقراطية والدكتاتورية فإنه بالنسبة الى العرب بعيد كل البعد من هذا المعنى، لأن دول الغرب الديمقراطية هي عدوة حريتهم واستقلالهم ووحدتهم وهي ايضاً حامية الحكم الديكتاتوري الوطني الذي يشقى به العرب فوق شقائهم بالاستعمار.

٢١ كانون الثاني ١٩٤٨